

مجال جديد للأدب المقارن قصيدة أغنية للأرض بين :

بابلو نيرودا و حامد طاهر

يختص الأدب المقارن باختيار عمليّ ادبيين ينتميان إلى لغتين مختلفتين ، ثم قيام الباحث بدراسة وتحليل كل منهما ، والدوقوف من ذلك على مدى التشابه أو التباعد بينهما . وسواء كان أحدهما مؤثرا في الآخر أو متقاربا معه ، فإن هذه الدراسة تكشف لنا عن مدى الوحدة المسارية في التجارب الأدبية وما تعكسه من مواقف إنسانية مركوزة في نفوس البشر ، رغم اختلاف الزمان والمكان والبيئة . ومن هذا المنظور يعد الأدب المقارن ذافذة مفتوحة على تلاقح الثقافات العالمية ، كما يساعد على سعة الأفق ، وتهيئة المناخ المنشود للتعايش بين الأمم .

ويعتبر (بابلو نيرودا) من أشهر شعراء شيلي بأمريكا اللاتينية . ولد 1904 وتوفي 1973 . وقد حصل على جائزة نوبل في الآداب سنة 1971 ، وكان صاحب اتجاه يساري واضح . كتب عنه أستاذي وصديقي المرحوم د. الطاهر مكي كتابا عرفه به إلى مصر والعالم العربي . ومن قصائد نيرودا تلك التي بعنوان : (أغنية إلى الأرض) ، التي أشهد الله تعالى أنني لم أطلع عليها إلا بعد أن كنت قد كتبت قصيدة نثر بعنوان (أغنية للأرض) . وتلك من عجائب المصادف البحتة !

وهذا ما دفعني — هنا والآن — إلى أن أضع القصيدتين بين أيدي الباحثين والقراء ، لعل أحدهم يقوم ذات يوم بالمقارن بينهما ، واستخلاص بعض النتائج التي تخرج من تلك المقارنة في الشكل ، أو المضمون ، أو الاتجاه ..

قصيدة أغنية إلى الأرض

لبابلو نيرودا

أيتها الأرض..

من الذي حدّدك ؟

وأحاطك بالأسلاك ،

والأسوار ، والحواجز ؟

تُرى هل ولدت مجرّاة

عندما كانت النيازك تمر بك

وكان أديمك ينتفخ

مكونا بحارا وخرّبا ؟

من ذا الذي وزّع خيراتك

بين حفنة من الأفراد ؟!

إنّي أتهمك

لقد اعتريتك رعشات موت

واهتزازات كارثة
وسحقت المدن والمقرى
ودمرت البيوت على السكان المسالمين
بينما تحملت التقسيم الجائر لبساتينك
ولم يضر رمح بركانك المشتعل
بوجه غاصب للأرض!

أهديت برّك القارس للفقير المعذب
والمنجم الأسود للعامل الجريح
والكهف للمشرّد
والحر القائظ لابن الصحراء
وهكذا .. فإن ذلك لم يكن عزاء للجميع
ونارك لم تكن حسنة التوزيع

أيتها الأرض..
اسمعي وتأملّي هذه الكلمات
التي أعطيتها للريح كي تطير
إنها ستقع في أحشائك فتفرخ
كفى .. كفانا عراكا
لا نود أن نخسر أرضا ودماء
إننا ننشد حبك
أيتها الأم الخصبة
يا أم الخبز والإنسان

قصيدة أغنية للأرض
للدكتور حامد طاهر

أيتها الأرض..
التي أشتاق إليها بمجرد الابتعاد عنها
وأعتصر جسدي فوقها حتى الذوبان فيها
وحين أمرغ وجهي بترابها ،
تتلاحق أنفاسي من شدة التمسك بها

أيتها الأرض النابضة
حين تضغطين على جسدي المنتفض
أحرص على أن ألتصق بكل ذرة فيك
حتى نكون أنا وأنت جسدا واحدا
وبين آونة وأخرى..
أصعد إلى قمم جبالك
وأغوص في أعماق بحارك
وأتوه في صحاريك الشاسعة
لكن ما يردني إليك دائما
نظرة من عينيك الراضية ،
وقبله من فمك الذي بطعم المفاكهة..

أيتها الأرض الكريمة

أنت تعطين بلا حدود
وأنا أتلقى منك بغير شبع
جائع إليك على الدوام
عطشان إليك قبل ارتوائى وبعده
من شدة قربى منك لا أكاد أراك
وبعيونى المغمضة ، أتخيلك فى ألف صورة وصورة
روكسانا ، وأفروديت
كليوباتره ، وشجرة المدر..
كل التماثيل التى جسدت أجمل نساء العالم
صاغها الفنانون من هضابك الرخاميه
ثم غسلوها بعد ذلك بالمطر المنهمر عليك
حتى أصبحت فى بياض الثلج ونعومة أوراق الورد

أيتها الأرض الساحرة
خرجت منك ، وإليك أعود
أنت بدايتى ونهايتى
أنت مهدى ومقبرتى
أنت أمى وحبيبتى
يمكنك إغراقى وانتشالى
يمكنك حرقى وإطفائى
يمكنك طردى واحتوائى
مهما ابتعدت .. فأنا قريب منك
مهما سافرت .. فأنت محطتى المقامه
مهما انخدعت .. فأنت الأصل والحقيقه
أنا حر ، لكننى مقيد بانتمائى إليك
أنا برءاء ، لكننى متهم بالوقوع فى غرامك
أنا متفائل ، لكننى أخشى المسقوط فى أحد آبارك

أيتها الأرض .. الحانية والمستبده
مهما انتزعت ثوبك الطويل من يدى
ومهما أصبرت على عدم استقبالى فى قصرك
ومهما قلت للجميع : إنك لم تعودى تعرفيننى
فسوف أظل متمسكا بك
طارقا بكل قوتى على بابك
منشدا أغنياتى فى حدائقك
معلنا لكل الناس والأشياء .. حبى لك
لأننا - أنت وأنا - مثل الليل والقمر
مثل الشمس والنهار
مثل البحر والشاطئ
بدأنا معا..
وسوف تكون نهايتنا أيضا .. معا!

